اجتهادات
يونيو: الهزيمة والرواية 5

قضى الروائى الكبير صنع الله إبراهيم خمسة أعوام فى السجن (1959-1964) بسبب معارضته بعض سياسات تلك المرحلة. لم يكن متوقعاً حينها أن تكون هذه السياسات، مثل غلق المجال العام أمام المشاركة الشعبية الحرة التى تجعل المجتمع منغمساً فى قضاياه الوطنية, من أسباب هزيمة 1967. وتبين بعد ذلك مدى أهمية هذه المشاركة التى تحققت جزئياً فى الفترة بين 1967 و 1973، وظهر أثرها فى انتصار أكتوبر. وبدا وقتها الفرق بين المجتمع حين كان مُغَّيباً عن الشأن العام، وعاجزاً بالتالى عن أى عمل إيجابى، وعندما أصبح حاضراً بدرجة ما وقادراً على أداء دوره فى دعم جيشه قبيل حرب 1973 وخلالها. فى تلك الأجواء، وفى العام التالى للهزيمة، كتب صنع الله إبراهيم رواية أطلق عليها «67». ولم يتيسر له نشرها فى وقتها, ونسيها بعد ذلك إلى أن وجد مخطوطتها أخيراُ، فقرر نشرها كما هى كشهادة على مرحلة، حيث أصدرتها «دار الثقافة الجديدة» قبل أسابيع.

تتكون رواية «67» من 12 فصلاً يتناول كل منها أحد أشهر عام 1967. و يمكن لقارئها استخلاص بعض أهم أسباب الهزيمة من تأمل حركة شخصيات الرواية، والسياق العام لحواراتهم التى تعبر عن حالة التحلل التى تصيب أى مجتمع حين يُفرض عليه الانصراف عن قضاياه، ويستبد به الخوف، فيصيب التشوه أنماط العلاقات فيه.

وبرع المؤلف فى التعبير عن الأجواء السائدة حينها منذ المشهد الأول فى حفلة رأس السنة ليلة أول يناير 1967 حين نتذكر إنصاف أحد الغائبين: (هو وحده الذى ينقصنا. كيف نتركه فى قطعة أرض لا تحمل حتى اسمه. ألا يكفى أنهم قتلوه بعد تعذيبه؟) مروراً ببعض مشاهد من يوم 5 يونيو فى الفصل السادس (الأخبار جيدة أليس كذلك؟ أجل رائعة) .. (قال صادق إنه سيكتب مقاله القادم من تل أبيب) .. (بعد قليل اتصلت بالجريدة فرد صادق وكان يبكى. قال: كل شىء انتهى .. وواصل البكاء), ووصولاً إلى أحد مشاهد نهاية الرواية حين نتأمل إنصاف شريط حياتها التى قضتها (جالسة تشهد الآخرين وهم يذهبون إلى السجن أو الخارج أو الحياة الأخرى).

حقاً، ما أروعه إبداع صنع الله إبراهيم الروائى.